علوم البلاغة فى الجامعة

للأستاذ على العمارى

— ٦ —

قلت فيما سبق إن رجال الجامعة لم يصنعوا شيئا فى تجديد البلاغة العربية ، غير أن ملأوا غرف الدراسة ، وأذهان الطلاب بالطعن على المتقدمين ، والتنريه بقصورهم وتقصيرهم ، فلننظر فيما بين أيدينا من كتب لنرى مصداق ذلك . فى سنة ١٩٣١ ألقى فضيلة الأستاذ الشيخ أمين الخولى محاضرة فى الجمعية الجغرافية الملكية وسماها « بحثا تاريخيا تجديديا » تحدث فيها عن صلة الفلسفة بالبلاغة العربية ، وتكلم طويلا عن نشأة البلاغة وتطورها والمدارس التى احتضنتها ، ثم تحدث عن الدراسة فى كلية الآداب ودعا إلى تجديد البلاغة تجديداً شاملا وكان مما قاله « وهى — يعنى الكلية — فى إخلاص المجدد المستنير بالتاريخ تستطيع أن تختط طريق الدرس الفنى وتجعله واضح المعالم مغايراً لطريق البلاغة التى سميناها البلاغة العلمية ، كما عزمت على أن تتلافى ما كان من أثر الفلسفة فى تجدد البلاغة وقصور بحثها ، لأن إلزامها حدود دراسة الجملة قد حرمها من أبحاث ضرورية للفن الأدبى ، أبحاث نراها فى بلاغات اللغات الحية ويجب أن تتناولها بالدرس ، ومن تلك الأبحاث البحث فى الأسلوب واختلافه وأوجه تفاوته ، ومزايا أنواعه المختلفة ، ومن ذلك البحث فيما وراء المعنى الجزئى — تشبيه ، استعارة — كناية — من معنى كلى وغرض يقصد إليه الأديب ...الخ»

أبحاث كثيرة يدعو الأستاذ إلى تناولها بالدرس ، وبذلك يجدد البلاغة العربية .

ظفر فى فم الأمانى حلو ليت منه لنا قلامة ظفر

وتمضى خمسة عشر عاما كان يمكن أن ترى فيها أثرا لهذه الدعوة ، ولكنا نفاجأ فى سنة ١٩٤٦ بكتاب للشيخ أمين يسميه « فن القول » ويقول فى الصفحة الرابعة منه « إنى أحس إحساسا قويا عنيفا بحاجة حياتنا الأدبية واللغوية إلى دراسات كثيرة واسعة لم نقم بها ، ولا هيأنا السبيل لإتمامها ؛ ولو استطعنا أن نعرف بها ونقنع بضرورتها ، وندفع إليها ونقوم بمحاولات أولية فيها لنخلق الجيل الذى يقوم بها ويتمها فذلك خير ما نسدى لعصرنا ، وجل ما نؤدى به واجبنا . ولن أظن لحظة أننا قد أوفينا فى ذلك على الأمل المرجو ، والمثل المنشود أبدا ، لأن الميدان خال بل مقفر . وسنرى فى البلاغة التى تزاول درسها هنا مثلا لذلك بيننا » وإذن فالشيخ أمين لم يصنع شيئا فى هذه المدة الطويلة ، ولم يصنع غيره كذلك لأن الميدان « خال بل مقفر » فهل يكون هذا الكتاب الذى يخرجه هو العمل المرجو فى تجديد البلاغة ؟ هذه محاضرات ألقاها فى معهد الدراسات العليا ، وقد وصلنى منها ١٢٠ صفحة ، وباقيها فى المطبعة كما أظن ، وكان من حق الشيخ علينا أن ننتظر حتى يتم طبع المحاضرات ، ولكنا نقول هنا كلمة ولا يزال الباب مفتوحا ، مائة وعشرون صفحة هى مقدمة لعمل تجديدى فى البلاغة ، فماذا تناول فيها ؟ تحدث فى أربع عشرة صفحة عن التفسير الحيوى والاجتماعى لفكرة إنشاء المعهد ، ثم التفت إلى ما كان نشره من محاضرات ومقالات فأعاد نشرها بشىء من البسط والإسهاب ، فتكلم عن نشأة البلاغة وعن منهج دراستها عندنا وعند غيرنا ، وتحدث عن اللغة العامية واللغة الفصحى ومشكلات اللغة الفصحى كل ذلك فى هذا العدد الضخم من الصفحات اعتبره مقدمة لكتابه . أليس ذلك حسنا ؟ لقد ذكروا أن أحد الرجاز أتى نصر بن سيار والى خراسان ومدحه بأرجوزة تشبيبها مائة بيت ومديحها عشرة أبيات ، فقال نصر : والله ما تركت كلمة عذبة ولا معنى لطيفا إلا وقد شغلته عن مديحى بتشبيبك . وأنا أرجو

فهذا كتاب المطالعة يا قوم ، لا عون فيه على القراءة ، ولا انسجام بين موضوعاته ولا تناول لطريف الأحداث ، ولا حسن اختيار لقطع الشعر ، فماذا بقى ؟

لا تبكوا على التلاميذ إذ يكبون فى الامتحان ، لا تصرخوا ولا تستصرخوا ...

أيها القوم ... السم فى الدواء ! !

كامل السيد شاهين
المدرس بالمدارس الأميرية

ألا يكون كتاب « فن القول » كهذه الأجوزة .

لكن جزءا من دعوة الشيخ أمين قد تحقق ، فقد أخرج الأستاذ أحمد الشايب كتاب « الأسلوب » وتكلم فيه عن كل المباحث التي دعا الشيخ إلى تناولها ، فهل هذا الكتاب عمل تجديدي ؟ لننظر . والذي نراه أن الأستاذ الشايب عمد إلى جهات ثلاث فاختطف منها كتابه .

(١) رسم خطى أرسطو فى خطابته ، فقد تحدث هذا عن الأسلوب وقيمته ووضوحه وصفاته الخاصة ، والشروط العامة للأسلوب ، وفتور الأسلوب وسلامته وشروط ذلك ، وشرح نراه الاسلوب وبسطته ووسائط ذلك ، كما بين الأسلوب الكتابي والأسلوب الخطابي والأسلوب الشعري والأسلوب النثري وتحدث عن اختلاف الأسلوب باختلافات الموضوعات وغير ذلك .

(٢) سطا على أبحاث المتقدمين من أمثال عبد القاهر والجاحظ وقدامة وابن رشيق والآمدي وصاحب المثل السائر والقلقشندي فاختطفها اختطافا ، وحسبك أن ترجع إلى ما كتبه العمدة عن فنون الشعر ، وما كتبه قدامة فى نعت الوصف ونعت الهجاء ونعت الرثاء ونعت المديح ونعت التشبيه ، ثم تقرأ كلام الأستاذ الشايب فسوف تعتقد معى أن المسألة كما يقولون « حذو القذة بالقذة » .

وأما عبد القاهر فأمره معروف فقد كتب كتابا خاصا فى النظم الذي يسميه الأستاذ « الأسلوب » قال « للخفة والشيوع » والجاحظ كتب عن صحة المعانى وفسادها ومناسبتها للألفاظ ، وحسبنا هنا الإشارة .

(٣) الغربيون — كما يقول الشيخ أمين — يعنون فى البلاغة بدراسة الأسلوب ، ويقول غير مرة إن هذه الأبحاث التي يدعو إليها — وهى قوام كتاب الأستاذ الشايب — مما عنى به الغربيون عناية تامة ، ويخص بالذكر كتاب الأسلوب الإيطالى lo stilela italiano للباريني .

ولا نستبعد — بل إننا لنوقن — أن الأستاذ الشايب نظر طويلا فى البلاغة الغربية وأخذ عنها ، وإذن فهل لنا أن نقول كما قال بعض النقاد الظرفاء : « لو قيل لكل معنى فى شعر حميد بن ثور ارجع إلى صاحبك لما بقى فى يده شيء » .

٥٢ . ٢٧

وأعتقد أنا لو حذفنا منه هذه الأبحاث القديمة العربية لبقى الكتاب أبيض مغسولا . على أنه فوق ذلك كتاب وصفى وعمل البلاغة إنما هو وضع القوانين التي إذا ترسمها الأديب استطاع أن ينشيء ، وهذا الكتاب فى أكثر مباحثه أشد صلة بأدب اللغة منه بالبلاغة ، وإن ذكر مؤلفه أنه وضعه فى البلاغة ، وقدم له بأبحاث فيها .

ومهما يكن من شيء فلا زلنا عند رأينا من أن الجامعيين تركوا البلاغة العربية كما كانت على عهد السكاكى ، وإذا كانوا صنعوا فإنهم لم يزيدوا على أن رجعوا إلى كتب البلاغة قبل السكاكى ، وكتب النقد الأدبى فاغترفوا منها ، وهذا عمل يشاركهم فيه كثير من أبناء دار العلوم ومن أبناء كلية اللغة العربية بالأزهر ، فأين هو التجديد يا رئيس الأمناء ؟ !

على العمارى

المدرس بمعهد القاهرة الثانوى

الأستاذ ساطع الحصرى

يقـــــدم :

إلى المعلمين والمربين والوالدين والمفكرين

١ — آراء وأحاديث فى الوطنية والقومية

٢ — آراء وأحاديث فى التربية والتعليم

وهما خلاصة مطالعات ، وزبدة تجارب ، فى ترتيب منطقى ، وأسلوب سهل ، وصورة مشوقة ....

يطلبان من إدارة الرسالة ومن سائر المكاتب الشهيرة

٢٠ قرشاً للأول و ٣٠ قرشاً للثانى

عدا أجرة البريد